FSM İlmî Araştırmalar *İnsan ve Toplum Bilimleri Dergisi*
FSM Scholarly Studies *Journal of Humanities and Social Sciences*
Sayı/Number 11 Yıl/Year 2018 Bahar/Spring
©2018 Fatih Sultan Mehmet Vakıf Üniversitesi
DOI: 10.16947/fsmia.437823 - http://dergipark.gov.tr/fsmia - http://dergi.fsm.edu.tr
Araştırma Makalesi / Research Article - Geliş Tarihi / Received: 01.05.2018 Kabul Tarihi / Accepted: 08.06.2018 - FSMIAD, 2018; (11): 387-398

علم الكلام والشبهات المعاصرة "مشكلة الشر عند الإمام الماتريدي نموذجاً"

*علي محمود العمري (Ali Mahmoud Al Omari)

ملخص

كيف يقبل الإله الرحيم بوجود الشر في العالم الذي خلقه؟

ظهر هذا السؤال مبكراً جداً في مسيرة البشرية، واعتبر كثير أنه يمثل معضلة كبرى يصعب على جميع الأديان حلها. في حين أن الأديان اختلفت في تصورها للشر ولأسبابه اختلافات تصل حد التناقض، إلا أنها اتفقت جميعاً على أنه لا تعارض بين وجود الشر ووجود الإله. وفي الفكر الكلامي الإسلامي نجد إجابات واضحة ومحددة لهذه المشكلة «مشكلة الشر»، تحاول جميعها رد المسألة إلى إرادة الله، وإلى نسبية الشر. إلا أن الإمام الماتريدي كان له طريقة مختلفة تفرد بها عن غيره من المتكلمين؛ بحيث جعل وجود الشر دليلاً في نفسه على وجود الله. وقد تأثر عدد من المتكلمين والفلاسفة من بعده بتقريره لهذه المسألة.

وفي هذا البحث سيحاول الباحث بيان جواب المتكلمين على سؤال الشر، ثم تخصيص البحث في جواب الإمام الماتريدي.

الكلمات المفتاحية: مشكلة الشر، الإمام الماتريدي، علم الكلام، الشبهات المعاصرة

---

* أستاذ مساعد دكتور، جامعة السلطان محمد الفاتح الوقفية،كلية العلوم الإسلامية، اسطنبول/تركيا.
Dr. Öğr. Üyesi, Fatih Sultan Mehmet Vakıf Üniversitesi İslami İlimler Fakültesi Temel İslam Bilimleri Anabilim Dalı, İstanbul/Türkiye, ali.m.omari@gmail.com, orcid.org/0000-0003-0977-9041

Kelâm İlmi ve Güncel Şüpheler "Teodise Problemi: İmam Matürîdî Örneği"

Öz

Merhametli bir ilah var ettiği alemde kötülüğün de varlığına nasıl razı gelebiliyor?

Bu soru insanlığın varlık serüveni ile birlikte çok erken dönemlerde ortaya çıkmıştır. Birçoklarınca bütün dinler, bu soruya bir cevap bulmakta aciz kalacaktı. Çünkü dinler, teodise kavramına birbirileri ile çelişkiye düşecekleri düzeyde farklı anlamlar yüklemişlerdir. Ne var ki hepsinin ortak düşüncesi, teodisenin varlığı ile yaratıcının varlığı arasında bir tearuzun bulunmadığı yönünde kesişmektedir. İslam Kelam düşüncesinde teodise problemini "ilahi irade" ve "kötülük kavramının göreceliliği" perspektiflerinde izaha çalışan mütekellimler, net ve belirleyici cevaplar üretmişlerdir. Bu düşüncenin temsilcilerinden İmam Matürîdî ise teodise problemine alışılagelmişin dışında bir yöntem ile yaklaşarak kötülüğün varlığının bizatihi Allah'ın varlığının delili olduğunu ortaya koymuştur. Kendisinden sonra birçok mütekellim ve filozof da İmam Matürîdî'nin bu bakış açısından etkilenmiştir.

Bu çalışmada araştırmacı, Mütekellimlerin teodise problemine verdikleri cevapların izini sürerken özellikle İmam Matürîdî'nin yaklaşımını belirlemeye çalışacaktır.

Anahtar Kelimeler: Kötülük problemi, İmam Maturidi, kelam ilmi, güncel şüpheler.

Kalam and Modern Obfuscations "Imam Al- Maturidi on the Problem of Evil as a Case Study"

Abstract

How can a Merciful God accept the existence of evil in the cosmos that He created?

This question emerged early in the history of mankind leaving many to believe that it presented a great dilemma difficult for all religions to solve. At the same time religions differed in their conceptualizations of evil and its causes to the extent that their differences reach the point of contradiction. However, they all agree that there is no contradiction between the existence of evil and the existence of God. In Islamic Theological thought, we find clear and precise answers to, "the problem of evil." All of the answers attempt to link the question back to either God's Will or to the concept of evil being relative. Except for Imam Maturidi, who had his own unique method that differed from other theologians, such that he used the existence of evil as a proof in and of itself for the existence of God. Many theologians and philosophers were later impacted by the answer he formulated to this question. In this paper, the researcher will attempt to clarify the answers provided by the theologians to the problem of evil and then specifically focus on and clarify the answer provided by Imam Maturidi.

Keywords: Problem of evil, Imam Maturidi, theological thought, modern obfuscations.

أهمية الدراسة:

تبرز أهمية هذه الدراسة من حيث كونها تقدم منهجاً جديداً في الرد على أحد الأسئلة الفلسفية الكبرى التي ظهرت في بواكير الفكر الفلسفي الإنساني على يد الفيلسوف اليوناني «أبيقور»، وهو سؤال يتلخص بالجملة التالية: هل يتعارض وجود الإله مع وجود الشر؟

فاختار الفلاسفة الملحدون الإيجاب، والمؤمنون النفي، ودافع كل منهم عن جوابه بعدة طرق في الاستدلال، وقد كان للإمام أبي منصور الماتريدي طريقة متميزة بحق في الجواب، حاول هذا البحث بيانها وتحليلها.

مشكلة الدراسة

قد كانت مشكلة الدراسة متركزة على ما يلي:

- أثر علم الكلام في الرد على الشبهات
- طرق المؤمنين في الجواب على سؤال الشر
- طرق الإمام الماتريدي في الجواب على سؤال الشر

أسئلة الدراسة

ستحاول هذه الدراسة الإجابة عن الأسئلة التالية:

- هل علم الكلام لبيان العقائد أم للرد على الشبهات؟
- لماذا اعتبر بعض الملحدين مشكلة الشر الدليل الأبرز على الإلحاد؟
- ما هي الردود الكلامية والفلسفية لهذه المشكلة؟
- بماذا تميز رد الإمام الماتريدي عن غيره من المتكلمين والفلاسفة؟

أهداف الدراسة:

- بيان أثر علم الكلام في الرد على الشبهات
- بيان خطورة وأثر سؤال الشر في الفكر الإنساني
- توضيح نموذج للردود الكلامية على هذه الشبهه ممثلاً في الإمام الماتريدي

منهجية الدراسة

اتبع الباحث في هذه الدراسة المنهج التحليلي، القائم على تحليل وتفسير النصوص الواردة في أثناء المتن، للوصول منها إلى الأحكام التي قدمتها الدراسة.

خطة الدراسة

قسمت الدراسة إلى ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: علم الكلام والشبهات

المبحث الثاني: سؤال الشر بين المؤمنين والملحدين

المطلب الأول: سؤال الشر عند الملحدين

المطلب الثاني: سؤال الشر عند المتدينين

المبحث الثالث: جواب الإمام الماتريدي على سؤال الشر

المطلب الأول: الطريق الأول في الإجابة عن سؤال الشر

المطلب الثاني: الطريق الثاني في الإجابة عن سؤال الشر

علم الكلام والشبهات

إن علم الكلام كان بلا شك هو المكون الأبرز لنظرية المعرفة الإسلامية لقرون طويلة، وفيه ظهر إبداع العقلية المسلمة في التحليل والتأصيل العقلي، والجدل والمناظرة مع الخصوم الفكريين، بل حتى المناظرة مع أفكار افترض المتكلمون أنه ربما ستخطر في بال الخصم وإن لم يكن قد أوردها بعد.

وعندما أراد الإمام العضد تعريف علم الكلام جعل الرد على الشبهات داخلاً في هذا التعريف، حيث عرفه بأنه «علم يقتدر معه على إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج ودفع الشبه.»[1]

فقد لاحظ الإمام العضد أن دفع الشبه هو بمنزلة «العرض الذاتي» لهذا العلم، لا سيما أن هناك اتفاقاً على أن الغاية من علم الكلام هي تثبيت العقائد الدينية في نفوس المؤمنين[2]، وبالتالي فإن هذا العلم بدون رد الشبه يكون علماً بلا غاية.

وقد عرفه ابن خلدون أيضاً بأنه:» علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية، والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذهب السلف أو أهل السنة.»[3]

ومن هذه الحيثية كان البحث والاستقصاء للشبه داخلاً في صميم عمل المتكلم، وليس ترفاً فكرياً كما يحلو لكثير من المعاصرين تسميته، وليس مجرد تأثر بالفلاسفة كذلك، بل لا اعتبار للمتكلم أصلاً إلا إن قام بهذه المهمة؛ لا سيما وأن مسائل العقائد في نفسها متناهية منحصرة، ولكن الشبه التي تطرؤ على هذه المسائل لا حصر لها ولا حد[4]، فكان لابد من وجود متكلمين في كل عصر يتولون مهمة دفع الشبه.

ومن هذه الشبهات التي كانت وما تزال تثير نقاشاً حاداً بين المؤمنين والملحدين "مشكلة الشر"، وقد كان من أهم أسباب انتشارها حتى في غير الأوساط العلمية الفلسفية أنها تصف واقعاً معاشاً ملاحظاً بالحس والتجربة، وبالتالي فهي قد تشكل حتى على المؤمن العادي، لا سيما وأن الجواب عند المتدينين هو جواب ميتافيزيقي بخلاف السؤال، ولعل هذا ما دفع الفيلسوف الفرنسي سبونفيل (Sponville) إلى اعتبار مشكلة وجود الشر هي الحجة «الأقدم، والأبسط، والأقوى» للإلحاد.[5]

1 عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي (توفي ٧٥٦هـ)، المواقف، بشرح الجرجاني، بيروت، دار الجيل ١٩٩٧م ج١، ص ٣١.

2 انظر: سعد الدين، مسعود التفتازاني(توفي ٧٩٢هـ)، شرح العقائد النسفية، الهند، المكتبة الإسلامية، ١٣٩٠هـ. ص ٢٢.

3 عبد الرحمن بن خلدون (توفي ٨٠٨هـ)، تاريخ ابن خلدون، بيروت، دار إحياء التراث، (بدون تاريخ طبع)، ط٤، ج١، ص ٤٥٨.

4 انظر: مصلح الدين مصطفى الكستلي (توفي ٩٠١هـ)، حاشية الكستلي على شرح العقائد النسفية، بغداد، مكتبة المثنى، (بدون رقم وتاريخ طبع) ص١٠.

5 محمد المزوغي، تحقيق ما للإلحاد من مقولة، بيروت، منشورات الجمل، 2014، ط2، ص 424.

2. سؤال الشر بين المؤمنين والملحدين

2. 1 سؤال الشر عند الملحدين

كيف يقبل الإله الرحيم بوجود الشر في العالم الذي خلقه؟

يمكننا القول بأن الملاحدة، كانوا وما زالوا مقتنعين بمدى إحراج هذا السؤال للمتدينين، وهذا ما دفع بعضهم كما مر إلى اعتبار مشكلة وجود الشر هي الحجة "الأقدم، والأبسط، والأقوى" للإلحاد.[6]

في المقابل نرى في صفوف المتدينين اقتناعاً تاماً بأن ما تم تقديمه من إجابات في الفكر الديني تعتبر كافية ومقنعة للباحث الموضوعي عن الحق، بحيث قد حل المتدينون إشكالية الشر حلاً نهائياً ومنطقياً.[7]

وقد اختلفت الأديان في تصورها للشر ولأسبابه اختلافات تصل حد التناقض، إلا أنها اتفقت جميعاً على أنه لا تعارض بين وجود الشر ووجود الإله، أو كما يعبر المناطقة: «ليس بينهما مانعة جمع».

بعض الأديان فسرت الشر بوجود إله قديم خاص بالشر، هو الذي يخلقه ويوجده كما هو الحال في كثير من ديانات الشرق.

وبعضها يفسر وجود الشر بوجود مخلوق له مهمة محددة وهي غواية الإنسان وحثه على ارتكاب الخطيئة، اصطلح على تسميته «بالشيطان.»

وقد يُفسر وجود الشر بسبب وجود الإرادة الحرة التي أودعها الله في الإنسان، والتي بها يوجد الخير والشر معاً.

وتبقى الإجابة الأرقى منطقياً تلك التي ترجع وجود الشر إلى وجود إرادة مطلقة للإله، ومن شأنها أن تتعلق بجميع الممكنات، سواءً كانت خيراً أو شراً، وإلا لكان الإله ذا قدرة ناقصة.[8]

والصورة المنطقية لهذا الإشكال هي كما يلي:

1. إذا كان هناك إله عليم فلا بد أن يكون عالماً بوجود الشر في العالم
2. وإذا كان الإله رحيماً فلا بد أن لا يرضى بوجود الشر في العالم
3. وإذا كان الله قادراً فلا شك أنه قادر على منع وجود الشر في العالم
4. لكن الشر موجود، وهذه المقدمة لا يستطيع أحد إنكارها
5. إذن يجب أن تكون واحدة من المقدمات الثلاث الأول غير صحيحة (أن الله عالم، رحيم، قادر).
6. وإذا كانت واحدة من المقدمات الثلاث غير صحيحة فإن ذلك يعني عدم وجود الإله؛ حيث إن خلو الإله عن إحداها يبطل كونه إلهاً.[9]

---

6 محمد المزوغي، تحقيق ما للإلحاد من مقولة، ص 424.

7 أنصح القارئ المهتم بالتوسع في هذه القضية وردود المتدينين عليها بالاطلاع على الكتاب المهم جداً لآلفن بلانتينجا: "*God, Freedom, and Evil*"

8 أبو حامد محمد بن محمد الغزالي (توفي 505هـ)، الاقتصاد في الاعتقاد، جدة، دار المنهاج، 2016. ط2، ص201.

9 علي محمود العمري، مدخل إلى دراسة فلسفة الدين، عمّان، دار النور المبين، 2016. ص55.

وربما يعد الفيلسوف الأثيني أبيقور (٣٤١-٢٧٠ ق.م) من أقدم من اعتبر هذه المشكلة قادحة في التصور الديني لوجود الإله في الفلسفة اليونانية القديمة؛ ولا يعد هذا غريباً على هذا الفيلسوف الذي تقوم فلسفته على مفهومي اللذة والألم.

ويمكن أن نصيغ السؤال مع الجواب الأبيقوري بهذه الطريقة:

كيف يمكن لإله يفترض أنه إله عالم ورحيم وقادر أن يقبل بوجود هذه الشرور التي تملأ العالم؟

الإجابة ستكون منحصرة في احتمالات أربعة لا خامس لها:

1. إما أن الله يريد انتزاع الشر ولا يقدر
2. أو أنه يقدر ولا يريد
3. أو أنه لا يقدر ولا يريد
4. أو أنه يقدر ويريد انتزاع الشر من العالم

ـ فإذا كان يريد انتزاع الشر ولم يقدر فهو عاجز، والعاجز ليس إلهاً.

ـ وإذا كان قادراً على نزعه ولم يرد نزعه فهو شرير، وهذا يتعارض مع الفرض بأن الإله كامل ولا ينسب له نقص البتة.

ـ وإذا كان لا يقدر ولا يريد فهو عاجز وشرير في نفس الوقت، ومن كانت أوصافه كهذا فليس بإله.

ـ وإذا كان قادراً على نزع الشر، ومريداً لذلك، فمن أي يأتي الشر، أو لمَ لا يغي الشر؟!

فعلى جميع الاحتمالات سيكون وجود الشر مناقضا لوجود الإله.[10]

وقد حاول الملحدون على الدوام التطوير والتفصيل في هذه المقدمات، فمثلاً ذكر بعضهم ما يلي:[11]

1. يوجد في العالم مقدار هائل من الشرور والمعاناة كان يمكن لأي كامل القدرة والرحمة والمعرفة أن يوقفها إذا أراد.
2. كان يمكن للموجود الكامل أن يمنع وجود المعاناة من أصلها
3. كان يمكن للموجود الكامل أن يوجه البشر نحو الخير دائماً
4. لكن ذلك كله لم يكن
5. إذن الإله الكامل ليس موجوداً

يقول سبونفيل: ”هذه في الحقيقة مشكلة الأديان، مشكلة تجابه المؤمنين فقط؛ لأنه بالنسبة للملحدين الشر هو واقع يجب الاعتراف به، مجابهته، تجاوزه متى استطعنا، ومع ذلك يمكننا فهمه وتفسيره.“[12]

10 المزوغي محمد، تحقيق ما للإلحاد من مقولة، ص 425.

11 The Internet Encyclopedia of Philosophy, “The Evidential Problem of Evil”

12 المزوغي محمد، تحقيق ما للإلحاد من مقولة، ص 425.

2. 2 سؤال الشر عند المتدينين

أما المتدينون فقد أجابوا على سؤال الشر بمسالك مختلفة، كلها تؤكد على عدم المعارضة بين الوجودين، (وجود الشر ووجود الإله)، بل اعتبروا أن في وجود الشر ما يؤكد كون الإله مطلق القدرة.

أول مسالك الإجابة عند المتدينين كانت في التشكيك في وجود الشر المطلق في الكون، فكل ما يعتقد إنسان معين أنه شر سيجده إنسان آخر لا محالة خيراً، فقتْل إنسان، مثلاً، يمثل في نظر الكثيرين فعلاً شريراً؛ بل ربما من أقبح الشرور، لكن إذا علمنا أن هذا المقتول كان يحارب ويقتل ويسرق ويغتصب الأبرياء فلا شك أن كثيرين سيرون في قتله خيراً كبيراً، وتخليصاً من الظلم الواقع على الضحايا.

وإذا نظرنا إلى الحروب بين البشر فإن القائلين بوجود الشر المطلق سيعطون حكماً كلياً ويقولون: كل الحروب شر.

ولكن هذا الحكم بكليته خاطئ لا محالة؛ لأن في بعض الحروب تحريراً للأوطان ودفاعاً عن المستضعفين.

وقد يرى البعض المرض شراً محضاً، وقد يرى فيه البعض الوسيلة الوحيدة التي تدفع البشر أن يبحثوا ويخترعوا الأدوية النافعة.

وقد أكون طبيباً فأتسبب بألم ووجع لطفل صغير، وأتسبب ببكائه ساعات، ولكني أفعل ذلك لإعطائه تطعيما ضد الكوليرا، فهل أنا في هذه الحالة التي أسبب فيها هذا الألم لهذا الطفل البريء شرير أم خير؟

وهكذا مهما تصورنا الشر المحض، سنجد عند التمحيص فيه جوانب خيِّرة يتنبه لها الباحث الموضوعي، فالحكم بالشر يكون نسبياً، فلا يجب أن يُنصِّب الإنسان نفسه معياراً لتحديد ما هو الخير وما هو الشر، فنفس الفعل الذي يُحكم بشرِّه من وجه، يُحكم بخيره من وجه آخر.

يعبِّر حجة الإسلام أبو حامد الغزالي (ت 505هـ) نسبية الخير والشر بقوله:

"الشر ليس شراً لذاته، بل هو من حيث ذاته مساوٍ للخير ومماثل له."[13]

أما ابن سينا فقرر أن طبيعة العالم لا تحتمل أن تكون إذا أوجدها الله خيرا تاما؛ فالنقص وعدم إمكانية حصول الخير الكامل راجعة لحقيقة العالم الناقصة في ذاتها، فإفاضة الله حقيقة العالم إنما كانت بحسب إمكان العالم في نفسه، فهو لا يقبل أكثر مما هو عليه، ولما كان خلق العالم فيه خير أكثر بكثير من عدم خلقه، فقد كان خلق الله تعالى للعالم خيرا في ذاته، أما النقص الحاصل فيه، فسببه نقص إمكانية العالم. فيُحتمل الشر القليل في مقابل الخير الكثير.[14]

وأما المسلك الثاني عند المتدينين في مسألة الشر هو أن الإله حتى يصح وصفه بالألوهية يجب أن يكون فاعلاً مختاراً، ولا يكون الإله فاعلاً مختاراً إلا إذا كان ذا قدرة وإرادة عامتي التعلق في جميع الممكنات، وإن لم تكونا كذلك فليس بإله، فالإله له إرادة تتعلق باختيار كل ممكن،

---

13 الغزالي، ، الاقتصاد في الاعتقاد، ص 201.

14 أبو علي الحسين ابن سينا (توفي 427هـ)، **النجاة**، تحقيق: ماجد فخري، بيروت، منشورات دار الآفاق الجديدة، ١٩٨٥م، ص 320.

والممكن منقسم بلا شك إلى خير وشر، وبالتالي فإن إرادة الإله متعلقة بكل منهما؛ فإذا اختار الشر فلحكمة، وإذا اختار الخير فلحكمة كذلك.

أما من يزعم أن الإله لا يمكن أن يخلق الشر فحاصل كلامه أن قدرة الإله وإرادته تتعلق ببعض الممكنات فقط، ولا يمكن تعلقها بالبعض الآخر، ومن كان هذا وصفه فهو عاجز، وليس بإله، فهو مجبر على اختيار واحد فقط وهو الخير، أو ما يظنه البعض خيراً، لأنه كما ذكر سابقاً الخير والشر نسبيان.[١٥]

أما المسلك الثالث وهو أكثر انتشاراً في الأوساط اللاهوتية المسيحية، هو القول بأن «الشر ثمن الحرية» ، ويعني أن الله قد خلق البشر وأوجد فيهم الإرادة الحرة، فخلقهم أحراراً فيما يريدون، وفي هذا كمال الخلق؛ فالأكمل قطعاً أن يخلق الإله بشراً أحراراً لا أن يخلقهم يسيرون كالريشة في مهب الريح، فحتى يصح أن تكون حراً مختاراً، يجب أن تكون قادراً على الفعل والترك، وبالتالي القدرة على الخير والشر معاً.[١٦]

٣. جواب الإمام الماتريدي على سؤال الشر

كان من الطبيعي للإمام الماتريدي،[١٧] من حيث كونه متكلماً، أن يتعرض لشبهة الشر، لا سيما وأنه بحسب البيئة الجغرافية التي سكن فيها كانت على تواصل مباشر مع الثنوية والمجوس.

وقد كان لأبي منصور طريقان في الإجابة على سؤال الشر:

- الطريق الأول، وهو طريق عموم المتكلمين، وهو بيان أن الشر المطلق لا وجود له في العالم، وكل ما يراه البعض شرا فهو خير محض للبعض الآخر.

- أما الطريق الثاني؛ وهو ما تفرد به عن غيره، وهو أن جعل نفس وجود الشر دليلاً على وجود خالق محدِث للعالم.

---

15 أبو عبد الله محمد بن يوسف السنوسي (توفي 895هـ)، تهذيب شرح أم البراهين، تصنيف: سعيد عبد اللطيف فودة، عمان، دار الرازي، 4002، ص05.

16 انظر: Plantinga, Alvin, *God, Freedom, and Evil*, William B. Eerdmans Publishing Company 1974.

17 هو الإمام الفقيه أبو منصور محمّد بن محمّد بن محمود الماتريدي الحنفي. وُلِدَ في ماتريد، وهي قرية تابعة لسمرقند. عاش في ما وراء النهر في زمن السامانيّة. تفقّه على أبي بكر أحمد الجوزجاني عن أبي سليمان الجوزجاني عن محمّد الشيباني؛ وعلى أبي نصر العياضي. وعاصر الحكيم السمرقندي.
صاحب السوادّ الأعظم في العقيدة. وتفقّه عليه عليّ الرُسْتُغْفَني وأبو محمّد عبد الكريم بن موسى البزدوي. كان رئيس أهل السنّة في ما وراء النهر، وأكثر نزاعه مع الفرق المبتدعة، خصوصا مع المعتزلة.له تصانيف عديدة قيّمة، منها: تأويلات أهل السنة في التفسير، وكتاب التوحيد، وكتاب المقالات، وردّ أوائل الأدلّة للكعبي، وردّ تهذيب الجدل للكعبي، وبيان وهم المعتزلة، وردّ الأصول الخمسة لأبي محمّد الباهلي، والردّ على القرامطة، ومآخذ الشرائع ، وشرح الجامع الصغير في الفقه. كان بارعا في العقيدة والفقه؛ ولكنّه لم يشتهر عند العلماء المتقدمين؛ فلم تُذْكَر المصادر القديمة معلومات واسعة عنه. وأوّل من تكلّم مفصّلا عن حياته وآثاره هو أبو المعين النسفي في كتابه تبصرة الأدلة؛ وأغلب من جاء بعده اعتمد عليه في ترجمته. وقيل إنّ الإمام الماتريدي اشتهر بعد كتابة النسفي تبصرةَ الأدلّة؛ لما في هذا الكتاب من توضيح لمذهبه. تُوُفِّيَ رحمه الله سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة. انظر ترجمته في المصادر التالية:عبد القادر محمد بن محمد القرشي(ت 775هـ)، الجواهر المضية في طبقات الحنفية، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، القاهرة، دار هجر، 1993م، ج3، ص360 وما بعدهامحمد عبد الحي اللكنوي (ت1304هـ)، الفوائد البهيّة في تراجم الحنفية، تحقيق: محمد بدر الدين النعاني، القاهرة، دار الكتاب الإسلامي،1324هـ ، ص 195 وما بعدهانجم الدين النسفي عمر بن محمد النسفي(ت 537هـ)، القَنْد في ذكر علماء سمرقند، تحقيق: يوسف الهادي، طهران، دار مرآة التراث، 1999م، ص 425.

3. 1 الطريق الأول:

وفي الطريق الأول يصرح الإمام بنسبية الشر، وما يلزمه من نسبية الخير أيضاً، حيث يقول:

«ما من شر إلا وأمكن أن يكون خيراً.»[18]

هذه النسبية التي سيؤكد عليها الإمام الغزالي من بعده كثيراً، ويبسط فيها من الأمثلة المؤكدة للتفاوت في الأحكام القيمية على الأفعال الإنسانية.[19]

والإمام الماتريدي عندما يقرر هذه المسألة في كتاب التوحيد فهو يسوقها للرد على المعتزلة والمجوس والثنوية، حيث إنهم قد اشتركوا في القول بالثبوت الذاتي للشر، فيرد عليهم الماتريدي بقوله:

«وأيضا أنه ما من شيء مما ذُكر من أنواع الجواهر إلا وقد يحتمل الإفساد والإصلاح جميعا... إذ كل شيء على جهة بنفسه لا يحتمل التغير ما دامت نفسه .»[20]

أي ما من نوع من أنواع الجواهر إلا ويتعاقب عليه الخير والشر، والفساد والإصلاح مما يُدرك بالمشاهدة، وبالتالي لا يمكن وجود الشر في نفسه بأن يكون مطلقاً ذاتيا؛ لأن كل شيء «على جهة بنفسه» أي ثابت في ذاته، فهو لا يقبل التغير.

3. 2 الطريق الثاني:

أما الطريق الثاني الذي تعامل به الإمام الماتريدي مع مشكلة الشر فهو الاستدلال بوجوده على حدوث العالم، وبالتالي إثبات أن للعالم خالقاً موجِداً مبايناً له في الوجود.

وفي هذا الاستدلال يسلك الإمام الطريق التالية:

إن الشر من جملة المتقابلات التي تتعاقب على العالم، وتعاقب تواردها على عين المحل دال على التغير، وبالتالي على الحدوث.

وهو في هذا يسلك مسلكاً فريداً في إثبات وجود الله لا يصرح فيه بالذرية،[21] وأن العالم حادث لحدوث الجواهر والأعراض، كما هو المتقرر في علم الكلام عموماً، بل يحيل في إثبات التغير إلى ما في العالم من المتناقضات كالخير والشر، وهو بهذا يفتح الباب لطرق جديدة في الاستدلال على وجود الله تعالى؛ إذ يمكننا الاستدلال على وجوده بطريقة إثبات وجود قيم أخلاقية متناقضة تتعاقب على المحل الواحد (وهو هنا الإنسان المتخلق)، وهذا أيضاً مما يستدل به على عدم ثبوت القيم الأخلاقية في نفسها، بل هي أحكام وضعية.

وإن كانت غير ثابتة في نفسها، بل في اعتبار المتخلق، يمكننا أن نفسر اختلافها في نفسه باختلاف انفعاله بالعالم الذي يعيش فيه، وبالتالي سيرجع هذا الاختلاف الانفعالي إلى تغير في العالم الذي ينفعل به الإنسان المتخلق.

---

18 أبو منصور محمد بن محمد الماتريدي السمرقندي (توفي 333هـ)، كتاب التوحيد، تحقيق: فتح الله خليف، إسطنبول، المكتبة الإسلامية، ١٩٧٩ (ط١)، ص٩٠.

19 انظر: الاقتصاد في الاعتقاد، ص301 وما بعدها.

20 الماتريدي، كتاب التوحيد، ص61.

21 أي ما يسمى في اصطلاح المتكلمين «بالمذهب الذري» والذي ينص على انقسام العالم إلى جواهر وأعراض، كلاهما حادثان.

وبالعودة إلى الإمام الماتريدي، نجد أنه يذكر في إثبات حدوث العالم ما يلي:

«كل عين ما، اجتمع فيه الطبائع المتضادة التي من طبعها التنافر، لم يجز أن يكون بنفسه يجتمع، فثبت أن له جامعاً والله الموفق».

أي أن المحل الذي تجتمع فيه المتناقضات ،كالخير والشر، والحسن والقبح، لا يمكن أن يكون اجتماعها من ذات المحل، بل سيكون بسبب خارج عنه، ولذلك يقول في موضع آخر:

«كل محسوس لا يخلو عن اجتماع طبائع مختلفة ومتضادة مما حقها التنافر والتباعد لأنفسها ثبت اجتماعها بغيرها، وفي ذلك حدثه.»[٢٢]

فاجتماع الخير والشر في العالم معاً دال على أن العالم متغير، وكل متغير مفتقر إلى علة خالقة ترجح وجوده على عدمه:

«وأيضا أن منه –أي العالم- طيب وخبيث وصغير وكبير وحسن وقبيح ونور وظلمة، وهذه آيات التغير والزوال، وفي التغير والزوال فناء وهلاك... وما احتمل الفناء لم يجز كونه بنفسه.[٢٣]

فما سلكه الإمام الماتريدي في إثبات كون وجود الشر دليلا على وجود الله، هو كما بينا سابقاً أن وجود الشر –إن سُلِّم بذلك- دال على حدوث العالم وتغيره، وإن كان كذلك فلا بد له من محدِث.

وهذا المحدِث يجب أن يكون شيئا غير العالم؛ لأنا إن سلمنا أن الحادث قد يوجد لنفسه شيئا، فسيكون ما يوجده الحادث لنفسه كمالاً لا نقصاً، وسيختار لنفسه أفضل الأوصاف والأحوال التي ستقوم به، وبالتالي لن يوجد العالم إن كان محدِثا لنفسه شروراً تملؤه ويتصف بها. فثبت أن محدِث العالم شيئا غيره، وهو الله تعالى.

يقول الماتريدي:

«الثاني أن العالم لو كان بنفسه لم يكن وقتا أحق به من وقت ولا حال أولى به من حال، ولا صفة أليق به من صفة، وإذا كان على أوقات وأحوال وصفات مختلفة ثبت أنه لم يكن به، ولو كان لجاز أن يكون كل شيء لنفسه أحوالا هي أحسن الأحوال والصفات وخيرها فيبطل به الشرور والقبائح، فدل وجود ذلك على كونه بغيره والله الموفق.»[٢٤]

22 الماتريدي، كتاب التوحيد، ص ١٢.

23 المرجع والصفحة السابقين.

24 الماتريدي، كتاب التوحيد، ص ١٧.

قائمة المراجع

ابن خلدون، عبد الرحمن (توفي ٨٠٨هـ)، تاريخ ابن خلدون، ، بيروت، دار إحياء التراث، د.ت.

ابن سينا، أبو علي الحسين (توفي ٤٢٧هـ)، النجاة، تحقيق: ماجد فخري، بيروت، منشورات دار الآفاق الجديدة، ١٩٨٥م.

الإيجي، عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد، المواقف، بشرح الجرجاني، بيروت، دار الجيل، ١٩٩٧م .

التفتازاني، سعد الدين مسعود، شرح العقائد النسفية، الهند، المكتبة الإسلامية، ١٣٩٠هـ.

السنوسي، أبو عبد الله محمد بن يوسف (توفي ٨٩٥هـ)، تهذيب شرح أم البراهين، تصنيف: سعيد عبد اللطيف فودة، عمان، دار الرازي، ٢٠٠٤م.

العمري، علي محمود مدخل إلى دراسة فلسفة الدين، عمّان، دار النور المبين، ٢٠١٦م.

الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد (توفي ٥٠٥هـ)، الاقتصاد في الاعتقاد، جدة، دار المنهاج، ٢٠١٦م.

القرشي، عبد القادر محمد بن محمد القرشي،(ت ٧٧٥هـ)، الجواهر المضية في طبقات الحنفية، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، القاهرة، دار هجر، ١٩٩٣م.

الكستلي، مصلح الدين مصطفى (توفي ٩٠١هـ)، حاشية الكستلي على شرح العقائد النسفية، بغداد، مكتبة المثنى، د.ت.

اللكنوي، محمد عبد الحي (ت١٣٠٤هـ)، الفوائد البهيّة في تراجم الحنفية، تحقيق: محمد بدر الدين النعاني، القاهرة، دار الكتاب الإسلامي،١٣٢٤هـ .

الماتريدي السمرقندي، أبو منصور محمد بن محمد (توفي ٣٣٣هـ)، كتاب التوحيد، تحقيق: فتح الله خليف، إسطنبول، المكتبة الإسلامية، ١٩٧٩م.

النسفي، نجم الدين النسفي عمر بن محمد (ت ٥٣٧هـ)، القَنْد في ذكر علماء سمرقند، تحقيق: يوسف الهادي، طهران، دار مرآة التراث، ١٩٩٩م.

Plantinga, Alvin, God, Freedom, and Evil, William B. Eerdmans Publishing Company,1974.

The Internet Encyclopedia of Philosophy, "The Evidential Problem of Evil"

المزوغي، محمد، تحقيق ما للإلحاد من مقولة، بيروت، منشورات الجمل، 2014م.

***

İbn Haldun, Abdurrahmân, Târîhu İbn-i Haldûn, Beyrut, Dâru İhyâit'- Türâs, t.y.

İbn Sînâ, Ebû Ali el- Hüseyn, en- Necât, thk. Mâcid Fahri, Beyrut, Menşûrâtu Dâri'l- Afâki'l- Cedîde.

İci, Adudüddîn Abdurrahman b. Muhammed, el Mevâkıf bi Şerhi'l- Cürcânî, Beyrut, Dâru'l- Cîl, 1997.

et- Teftâzânî, Sa'düddîn Mes'ûd, Şerhu'l- Akâidi'n- Nesefiyye, Hindistan, el- Mektebetü'l- İslâmiyye, 1390h.

es- Senûsî, Ebû Abdirrahmân Muhammed b. Yusuf, Tehzîbu Şerhi Ümmi'l- Berâhîn, tas. Said Abdüllatîf Fûde, Ammân, Dâru'r- Râzî,2004.

el- Omeri, Mahmoud Ali, Medhal ilâ Dirâseti Felsefeti'd- Dîn, Ammân, Dâru'n- Nûri'l- Mübîn, 2016

el Gazâlî, Ebû Hâmid Muhammed b. Muhammed, el İktisâd fi'l- İtikâd, Cidde, Dâru'l- Minhâc, 2016.

el Kureşî, Abdülkâdir Muhammed b. Muhammed, el- Cevâhiru'l- Muziyye fî Tabakâti'l- Hanefiyye, thk. Abdülfettâh Muhammed el- Hulv, Kahire, Dâru Hicr, 1993.

el- Kestellî, Muslihuddîn Mustafa, Haşiyetü'l- Kestellî alâ Şerhi'l- Akâidi'n- Nesefiyye, Bağdad, Mektebetü'l- Müsennâ, t.y..

el- Leknevî, Mıhammed Abdülhay, el- Fevâidü'l- Behiyye fî Terâcimi'l- Hanefiyye, thk. Muhammed Bedrüddîn en- Neanî, Kahire, Dâru'l- Kütübi'l- İslâmî

el- Mâtürîdî es- Semerkandî, Ebû Mansûr Muhammed b. Muhammed, Kitâbü't- Tevhîd, thk. Fethullah Huleyf, İstanbul, el Mektebetü'l- İslâmiyye, 1979.

en- Nesefî, Necmüddîn en Nesefî Ömer b. Muhammed, el Kand fî Ulemai Semerkand, thk. Yusuf el Hâdî, Tahran, Dâru Mirâti't Türâs, 1999.

Plantinga, Alvin, God, Freedom, and Evil, William B. Eerdmans Publishing Company.1974.

The Internet Encyclopedia of Philosophy, "The Evidential Problem of Evil"